

أضواء البيان

@ 24 @ مركبة ، أي هي في اليهود مشاقة وزيادة ، تلك الزيادة لم توجد في غير اليهود ، فوق الفرق ، وذلك أن مشاقة غير اليهود كانت لجهلهم وشكهم ، كما أشار تعالى لذلك عنهم بقوله تعالى : { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعُظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } إلى آخر السورة ، فهم في حاجة إلى زيادة بيان ، وكذلك في قوله في أول سورة ص : { وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مِّنْ نَّذْرٍ مِّنْهُمْ قَالُوا الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْإِلَهَُ إِيَّاهَا وَاحِدًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْفُلُ مِنْهُمْ أَمْ يَأْمُرُكُمْ أَعْلَاءُ الْإِلَٰهِ أَنْ تَكُونَ مِنْ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَاهَا بِهَٰذَا فِي الْفُلِ الْإِلَهُ خِرَّةٌ إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِلَٰهٌ اخْتَلَقَ أَءَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي } . .

فهم في عجب ودهشة واستبعاد أن ينزل عليه صلى الله عليه وسلم الذكر من بينهم ، وهم في شك من أمرهم ، فهم في حاجة إلى إزالة الشك والتثبت من الأمر ، ولذا لما زال عنهم شكهم وتبينوا من أمرهم ، وراحوا يدخلون في دين الله أفواجاً ، بينما كان كفر اليهود جحود بعد معرفة ، فكانوا يعرفونه صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم { وَإِنْ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ، وقد سمي لهم فيما أنزل كما قال عيسى عليه السلام : { وَمُبَشِّرًا بِرِسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } فلم ينفعهم بيان ، ولكنه الحسد والجحود كما بين تعالى أمرهم بقوله عنهم : { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ } وقوله : { وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ } ، وقوله : { وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّصُ فُؤُوسَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُواهُ وَهُمْ يُعْلَمُونَ } ، وقوله : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } . .

فقد كانوا جبهة تضليل الناس ، وتحريف للكتاب . وتلبيس للحق بالباطل . كل ذلك عن قصد وعلم ، بدافع الحسد ومناصبة العداة وخضم هذا حاله فلا دواء له ، لأن المدلس لا يؤمن جانبه

، والمضلّل لا يصدق ، والحاسد لا يشفيه إلا زوال النعمة عن المحسود ، ومن جانب آخر فقد قطع
الطمع عن إيمانهم { أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّرُونَ قُلُوبَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُواهُ
وَهُمْ يَعْزِلُونَ } كما أياس من إيمانهم بعد إقرارهم على أنفسهم بتغلف قلوبهم عن
سماع الحق ورؤية النور : { وَقَالُوا